

مجالس في تدبر القرآن | (900) إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون

خالد السبت

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته لما ذكر الله تبارك وتعالى وصف المؤمنين الذين

يهتدون بالقرآن وهم اهل التقوى قابل هؤلاء باضدادهم وهم الكفار - [00:00:01](#)

فهذه هي الفئة الثانية التي ذكرها الله عز وجل ووصفها في صدر هذه السورة الكريمة سورة البقرة فقال ان الذين كفروا سواء عليهم

الانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون هؤلاء الذين - [00:00:27](#)

يصرون على الكفر والضلالة وقد قضى الله تبارك وتعالى بعدم اهتدائهم يستوي الحال حال الانذار وترك الانذار في حقهم فهم لا

يؤمنون هؤلاء الكفار ذكر الله تبارك وتعالى هذه الحقيقة - [00:00:51](#)

التي لا يعلمها الا هو جل جلاله وتقدست اسماؤه الذي يعلم الخفايا والخبايا وما تكنه الصدور وما تنطوي عليه القلوب فذكر ان هؤلاء لا

يجدي معهم دعوة ولا نصح ولا يفيد معهم ولا يجدي الانذار - [00:01:16](#)

ان الذين كفروا سواء عليهم الانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون. وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم من اجل ان لا يبتئس ولا

يحزن لعدم ايمانهم فقد اخبره الله تبارك وتعالى سلفا - [00:01:40](#)

بان دعوته لن تجدي مع هؤلاء الناس وانما غاية ما هنالك ان ذلك يكون فيه من اقامة الحجة عليهم وقطع المعاذير اما القلوب فانها

مغلقة مغلفة كما سيأتي قد طبع الله عليها وختم - [00:02:01](#)

كما ختم على الاسماع وجعل على الابصار غشاوة فاذا علم النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك لم يثقل عليه اعراضهم وقد جاء ذلك

كثيرا في كتاب الله تبارك وتعالى ينهاه ربه عن الحزن - [00:02:23](#)

لعدم ايمان هؤلاء الكفار فلعلك باخع نفسك اي مهلك نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا واذا عرف المؤمن ذلك فانه

يكون ايضا متسليا بمثل هذه الاية فلا يبتئس ولا يحزن - [00:02:44](#)

حينما يبقى فئام من الكفار لا يستجيبون لدعوة الاسلام والله تبارك وتعالى قد قضى ان اكثر الخلق لا يؤمنون وقال لنبيه صلى الله

عليه وسلم وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله - [00:03:08](#)

فهؤلاء يبقون على كفرهم ولكن المؤمن يؤدي رسالته ودعوته ويبقى اجره وافيا عند الله تبارك وتعالى لا ينقص النبي صلى الله عليه

وسلم اخبرنا ان النبي يأتي ومعه الرجل والنبي ومعه الرجلان والنبي وليس معه احد - [00:03:28](#)

واخبرنا عن نوح صلى الله عليه وسلم انه ما امن معه الا قليل مع طول المدة التي بقيها في قومه بقي الف سنة الا خمسين عاما قبل

الطوفان يدعوهوم ومع ذلك ما استجابوا - [00:03:55](#)

والانبياء عليهم الصلاة والسلام لا ينقصهم نصح وصدق في الرغبة في هداية قومهم ولا ينقصهم العلم بمقتضيات الدعوة ومتطلباتها

ولا ينقصهم البيان والاساليب الصحيحة التي تعرض بها الحقائق ومع ذلك - [00:04:11](#)

يبقى من اعمى الله قلبه غير مستجيب لهذه الدعوة وفي قوله تبارك وتعالى سواء عليهم يعني يستوي الحال الدعوة وترك الدعوة

وذلك ان القلوب لم تعد محلا قابلا للدعوة فلا يصل اليها خير - [00:04:34](#)

لأنها صارت مغلفة وقد طبع عليها وختم فلا يصل اليها التذكير والوعظ وقوله تبارك وتعالى الانذرتهم الانذرتهم؟ لاحظوا هنا انه عدل

عن المصدر ما قال سواء عليهم الانذار وعدم الانذار - 00:05:00

وانما قال يعني سواء عليهم انذرتهم فعدل الى الفعل انذر لما فيه من ايهام التجدد الفعل يفيد ذلك انذرتهم هذا الانذار يتكرر

ويحصل مرة بعد مرة ومع ذلك لا يجدي - 00:05:23

ثم ايضا تأمل دخول الهمزة هنا سواء عليهم انذرتهم وكذلك ام لم تنذرهم لتقرير معنى الاستواء بالحالين وتأكيده الحال مستوية

سيان الانذار وعدم الانذار لا يؤمنون بعد التركيب يدل على - 00:05:43

العموم لا يؤمنون بحال من الاحوال ولا في وقت من الاوقات فهم باقون على هذه الضلالات والكفر لا يفارقونها بحال من الاحوال ثم

ذكر العلة في ذلك عدم الاستجابة فقال ختم الله على قلوبهم - 00:06:11

وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم ختم عليها بمعنى ان الله تبارك وتعالى قد طبع على هذه القلوب فلا يصل اليها

التذكير وغطى ختم ايضا على الاسماع فلا ينفذ منها - 00:06:33

شيء وجعل على هذه الابصار اغطية وغشاوة فلا ترى الحق فهذه الثلاث نسأل الله العافية حصل لها حجب كامل الثلاث هذه هي هي

الثلاث الى المصادر التي يحصل بها العلم - 00:07:04

والمعرفة والفهم الاعتبار والتعاظ وما اشبه ذلك. هي هذه الثلاث فالسمع والبصر ميزابان يصبان في القلب وهو موضع الفكر والعقل

فهذه الاشياء التي يسمعها الانسان من آيات الله المتلوة والمواعظ والتذكير - 00:07:29

حينما تصل الى القلب وتجد محلا قابلا فانه يستجيب ويتأثر ويحصل له الاهتداء والايمان اذا كان الله تبارك وتعالى قد قضى له ذلك

واما اذا كان هذا القلب قد طبع عليه وختم وصار - 00:07:53

في اغلفة وران على هذا القلب ما يكسبه صاحبه من الافات والذنوب والجرائر والجرائم فان هذا القلب نسأل الله العافية لا يصل اليه

الهدى اصلا ولا يتأثر بل يكون قاسيا - 00:08:15

كما قال الله تبارك وتعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة اشد قسوة قال وان من الحجارة لما يتفجر منه

النهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء - 00:08:36

وان منها لما يهبط من خشية الله حجارة وكما سيأتي في الكلام على هذا الموضع ان شاء الله. ما قال كالحديد الحديد اذا وضع في

النار والمعادن تذوب اما الحجارة - 00:08:56

فانها لا تذوب في النار فشبهها بالحجارة كالحجارة والعرب ما زالت تشبه القسوة بالحجارة قال قلبه حجر فهؤلاء قد تحجرت قلوبهم

وقد ختم الله تبارك وتعالى على القلوب والاسماع فهذه الاية ختم الله على قلوبهم وعلى - 00:09:09

لا سمعهم والوقف هنا فالختم على القلوب والاسماع واما الابصار وعلى ابصارهم غشاوة يعني جعل على ابصارهم غشاوة فالغشاوة

تكون على الابصار بخلاف الختم والطبع كما قال الله تبارك وتعالى في الاية الاخرى وجعل على بصره - 00:09:31

غشاوة ومن يهديه من بعد الله. فتلك الاية توضح هذه فهؤلاء ايها الاحبة حينما تعطلت هذه الاسماع وهم لهم اذان لا يسمعون بها

يعني السماع الذي ينفعه ولهم ايضا ابصار لكنهم لا ينتفعون بهذه الابصار اي لا يبصرون بها لهم اعين - 00:09:53

لكنها لا تبصر ما ينفعها لهم اعين لا يبصرون بها فهذه الاعين الاذان التي لا تسمع ما ينفع ولا تبصر ما ينفع كذلك ايضا تلك القلوب لا

يعقلون بها لهم قلوب - 00:10:19

لكن لا يعقلون بها ما ينفعهم. هي مثل قلوب البهائم لا تقبل على ما ينفعها ويرفعها فاذا كان الانسان نسأل الله العافية يحمل سمعا كهذا

وبصرا كهذا وقلبا كهذا فاني له - 00:10:39

ان يؤمن لا يمكن بحال من الاحوال ونحن نشاهد كثيرا من الكفار يسلمون. والله تبارك وتعالى هنا يقول ان الذين كفروا سواء عليه ما

انذرتهم ام لم تنذرهم. بعض الكفار مثل جبير بن مطعم رضي الله عنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ آية - 00:10:57

واحدة كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في سورة الطور في صلاة المغرب وقد جاء جبير بن مطعم في المدة التي كانت بعد بدر

يطالب بفكاك الاسرى اسرى المشركين - 00:11:16

فسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون يقول فكاد قلبي أن يطير فلما رجع إلى مكة أعلن إسلامه وهاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم - [00:11:31](#)

سمع آية وهذا ما زال يحدث إلى يومنا هذا إذا من هؤلاء الكفار الذين ذكر الله تبارك وتعالى حالهم هذه وهي أسوأ حال هؤلاء كما قلت في مضامين الكلام السابق الذين يصرون - [00:11:46](#)

على الكفر ممن قضى الله عليه الضلالة فلم يوقفهم للهدى فهؤلاء لا ينفع ولا يجدي معهم النصح والموعظة ومن هنا نأخذ أيها الاحبة ما ينبغي على المؤمن من أن يلاحظ - [00:12:02](#)

قلبه وسمعه وبصره هذا السمع أن يسمع ما ينفعه وهذا البصر أن يوجه إلى ما ينفعه ثم إذا وصل ذلك المسموع أو المشاهد المبصر إلى القلب هل ينتفع به هذه الآيات التي نسمعها - [00:12:20](#)

والمواعظ التي تطرق أذاننا هل يحصل استجابة وتحريك لهذه القلوب وانتفاع فيكون حال المؤمن بعدها أفضل من حاله قبلها فإذا وجد الإنسان أنه لا تتغير حاله عند سماع الموعظة أو الآيات أو في مجالس الذكر فعليه أن يخاف - [00:12:39](#)

وأن يراجع قلبه يحضر خطب الجمع ومجالس الذكر ويسمع الآيات تتلى في الصلاة وفي خارج الصلاة ومع ذلك لا ينتفع. يرى الآيات ويمر بالعبر والعظات ولكنه لا يعتبر ولا يتعظ فهذا يدل على خلل في القلب - [00:13:05](#)

يخشى معه أن يطبع على هذا القلب فلا ينتفع والله تبارك وتعالى يقول يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء - [00:13:26](#)

وقلبه فإذا ترك الإنسان الاستجابة والمبادرة إلى أمر الله تبارك وتعالى والانقياد التام لأوامره واجتناب مساخطه فإنه قد يطبع على القلب النبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا عن الفتن أنها تعرض على القلوب كعرض الحصير - [00:13:40](#)

عودا عودا فايما قلب اشربها نكت فيه نكتة سوداء. وایما قلب انكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير القلوب على قلبين اسود مرباد كالكوز مجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا الا ما اشرب من هواه - [00:14:01](#)

وابيض كالصفة لا تضره فتنة ما دامت السماوات والارض فهذه الفتن أيها الاحبة التي تعرض على القلوب كعرض الحصير هي ما نشاهده ما نمر به من اطماع وما يحصل فيه من فتن - [00:14:20](#)

للفوس بشيء من عرض الدنيا محرم أو كان ذلك عبر شهوات أو عبر مشاهدات يراها الإنسان فإذا تحركت دواعي النفس لطلب المعصية سواء كان ذلك صورة محرمة يشاهدها أو ما لم يأخذها أو غير ذلك - [00:14:39](#)

فليتذكر قبل أن يطلق بصره أو أن يمد يده هذا الحديث تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عودا عودا فايما قلب اشربها نكت فيه نكتة سوداء. فإذا فتحت هذا المشهد - [00:15:03](#)

فهذه نكتة سوداء المشهد الآخر نكتة سوداء. المشهد الثالث نكتة سوداء حتى يسود القلب فيصير في حال لا يعرف المعروف ولا ينكر المنكر وبهذا نعرف من أين يؤتى الإنسان وأن هذه الجنيات - [00:15:18](#)

والمقارفات هي التي تؤدي به إلى حال كهذه فالمؤمن يخاف يحذر ويحتاط ولاحظوا هنا أن الله تبارك وتعالى لما ذكر الختم جمع القلوب. ختم الله على قلوبهم وأفرد السمع وعلى سمعهم - [00:15:38](#)

وجمع الابصار وعلى ابصارهم غشاوة فما وجه افراج السمع وجمع القلوب والابصار يمكن أن يجاب عن هذا فيقال ان السمع هنا جنس فيصدق على الواحد والكثير ويمكن ان يقال ان السمع مفرد مضاف الى معرفة وهو الضمير - [00:16:02](#)

وذلك لي العموم فيؤول المعنى إلى شيء متحد والعلماء رحمهم الله يجيبون عن هذا باجوبة كقول بعضهم بأنه وحد السمع لأن لكل واحد منهم سمعا واحدا كما يقال اتاني برأس الكباشين - [00:16:31](#)

يعني رأس كل واحد منهما يقال ذلك إذا أمن اللبس ختم الله على سمعهم يعني باعتبار كل فرد فافرده بهذا الاعتبار وبعضهم يجيب عن هذا بأن السمع مصدر في أصله وأن المصادر لا تجمع - [00:16:54](#)

فيقال رجالان صوم ورجال كذلك فروعى الأصل لكن لما ذكر الأذان في موضع آخر قال وفي أذاننا وقر فجمعها وبعضهم يجيب بجواب

آخر يقولون هناك مقدر محذوف مضاف يعني وعلى حواس سمعهم - [00:17:13](#)

على حواس فالجمع هو المحذوف المضاف والسمع مضاف اليه لكن الاصل عدم التقدير وبعضهم يجيب بجواب آخر ان ما قبل لفظ

السمع وما بعده ذكر بلفظ الجمع وذلك يدل على ان المراد - [00:17:42](#)

كذلك من السمع الجمع لكن من باب التفنن في العبارة افرد فحصلت هذه المغايرة يؤخذ من هذه الآية ايضا ايها الاحبة ان هذه الموانع

التي ذكرها الله تبارك وتعالى تمنع من الايمان والاهتداء - [00:18:00](#)

ولا يصل الى هذه القلوب ما ينفعها ولا تنتفع الاسماع والابصار فيكون الانسان في حال لا يرجى معه الخير له وذلك بسبب كفرهم

وفساد بواطنهم والله عليم حكيم وفي تقديم السمع على البصر - [00:18:19](#)

وهذا كثير في القرآن ان السمع والبصر والفؤاد رتبها بهذا الترتيب ما وجه هذا التقديم؟ تقديم السمع كثيرا في القرآن على البصر

يمكن ان يذكر في هذا جملة من الامور - [00:18:41](#)

فمن ذلك مثلا ان يقال بان السمع انفع من البصر. الانسان حينما يولد وهو لا يسمع النتيجة التي ستكون حتمية الا ان يشاء الله انه لن

ينطق ولذلك فان الصغير - [00:18:57](#)

اذا كان في سمعه شيء ضعف يعني ستجد التعثر في لسانه لانه لا يسمع الكلمات كما ينبغي وقد لا يكتشف هذا الا في وقت متأخر

ومنشأ ذلك السمع الصم البكم - [00:19:17](#)

ما سبب علة النطق عندهم هل هي اللسان الجواب ان ذلك كان في السمع فلم يسمعوا كلام المتكلمين وقول القائلين ومن ثم لم يترجم

في نفوسهم فما عادوا يستطيعون الكلام لانهم ما سمعوه واللغات انما تتلقى - [00:19:34](#)

بالسمع تلقاها الصغير من ابويه وهكذا فهذا يدل على شرف السمع على البصر وايضا الانسان حينما ويقارن بين السمع والبصر السمع

من جميع الجهات والبصر لا يكون الا من جهة واحدة الامام. ثم ايضا حينما تقارن تجد ان - [00:19:55](#)

السمع يدرك غير المرئيات فهو يسمع اصوات اشياء بعيدة لا يصل اليها بصره يسمع صوت الطائرة ولا يراها. ولكن البصر له مدى قريب

وايضا البصر لا يرى الا المتشخصات اما السمع فانه يسمع صوت الرياح - [00:20:18](#)

ونحو ذلك مما لا يشاهد ويرى هذا كله يدل على اهمية السمع وعلى فضله. اضافة الى ان انسان اذا ذهب بصره ولم يولد هكذا لكنه

كف بصره بعد ذلك العلماء يقولون ان ذلك - [00:20:40](#)

يكون سببا لاستجماع بصر القلب يقوى فيه البصر فيكون عند الانسان من التوقد والذكاء والفطنة ما لا يكون عند المبصرين. لماذا؟ لان

القلب يتبع البصر وكما يتبع السمع ايضا فهذه المشاهدات التي يراها ويبصرها تشوش قلبه وتفرقه. هذه المشاهد ولذلك العلماء

يقولون اذا اراد الانسان ان يحفظ - [00:21:01](#)

او يفهم لا يجلس في اماكن خريز المياه والمروج ونحو ذلك لان قلبه يتفرق في هذه المشاهد ولذلك بعض الناس اذا اراد ان يحفظ او

يتذكر اغمض عينيه وبعضهم لربما جلس في زاوية - [00:21:30](#)

لا يوجد فيها شيء يشوش عليه قلبه بحيث لا يرى شيئا سوى هذا الجدار وهذه الزاوية يقترب منها قريبا شديدا ولذلك ترى فيمن

فقدوا ابصارهم من الوعي للعلم والادراك الشديد والحفظ والضبط - [00:21:48](#)

ما لا يكون عند كثير من المبصرين ولذلك انظروا الى العلماء الذين فقدوا ابصارهم والقراء الذين فقدوا ابصارهم من الحذاق تجد

هؤلاء كثير لا يحصيهم الا الله. وفي عصرنا شاهد من هذا - [00:22:09](#)

سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله كف بصره في مقتبل عمره ومع ذلك وبهذه المنزلة في العلم. وشيخه الشيخ محمد ابن

ابراهيم رحمه الله سماحة المفتي السابق كان قد كف بصره ايضا. وقرينه - [00:22:25](#)

الشيخ عبد الله بن حميد اعني قرين الشيخ عبد العزيز ابن باز رحمه الله هو ممن كف بصره ايضا وهو من هو في الفقه والقضاء هؤلاء

لم يكونوا من المبصرين وقل مثل ذلك في كبار القراء في هذا العصر - [00:22:43](#)

الشيخ الزيات رحمه الله او الاعلى اسنادا في هذا العصر توفي قبل سنين كان ممن كف بصره فذهاب البصر لا يعني ان الانسان يتعطل

بل ينعكس ذلك على القلب. بل بعض اهل العلم يقولون لو انه ذهبت عين واحدة - 00:23:00

فان ذلك البصر الذي كان فيها يرجع الى العين الاخرى فيقوى بصرها والله اعلم على كل حال هذا السمع والبصر قدم السمع يمكن ان

يقال ايضا انه الوسيلة لتلقي كلام الله عز وجل - 00:23:22

وبلوغ دعوة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وما اشبه ذلك الله اعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى اله وصحبه - 00:23:40